

## سينما

بينما يحاكم التركي فاتح أكين سلطة بلاده على الإبادة الأرمنية ورفضها الاعتراف بها في فيلمه «القطع»، يذهب الإيطالي غيوليوري كياريللي إلى ألمانيا ما بعد الحرب العالمية الثانية. في فيلمه «مناهة الأكاذيب»، يطرح سؤالاً عن المسؤولية الفردية في الجرائم النازية



طاهر رحيم في مشهد من «القطع» لفاتح أكين

# أسبوع الفيلم الألماني عن المجزرة والذاكرة والنكران

## بأنه يبصون

ضمن «أسبوع الفيلم الألماني» المستمر في «متروبوليس أمبير صوفيل»، يلتقي فيلمان في استعدادهما لتاريخ التصفية العرقية والإجماع على ضرورة الاعتراف به. الأول هو فيلم «القطع» (2014 - 27/9 - 20:00) الذي يصور الإبادة الجماعية التي تعرض لها الأرمن في تركيا أثناء حكم الدولة العثمانية في مطلع القرن العشرين. الملفت أيضاً هو هوية مخرج العمل السينمائي ولو شخصي من المخرج بالإبادة الجماعية التي ترفض حكومة بلاده رسمياً الاعتراف بحدوثها وتسميتها بالإبادة لغاية اليوم. وكان المخرج قد صرح لصحيفة «أغوس» التركية الأرمنية أنه يرغب في تصوير قصة الصحفي التركي الأرمني هرات دينك الذي اغتيل على يد القوميين الأتراك، لكنه لم يجد ممثلاً تركيا يقبل بهذه المخاطرة. حتى أن الصحيفة المذكورة تلقت تهديدات بسبب نشرها للمقابلة. في الشريط الذي كان من بين الأفلام المتنافسة على «جائزة الأسد الذهبي» في «مهرجان البندقية السينمائي»، يتتبع المخرج قصة نازاريت (الممثل الفرنسي من أصل جزائري طاهر رحيم) الحداد الأرمني الذي يسكن وعائلته في مدينة ماردين جنوب شرقي تركيا. وفي بداية الحرب العالمية الأولى، يخضع للتجنيد الإجباري من قبل الجيش العثماني، ويرسل إلى الصحراء ليتم استعباده في الأشغال الشاقة. وفيما نازاريت يموت كما غيره، تتصاعد أعمال العنف ضد الأرمن من الإعدامات إلى المجازر الجماعية التي لا تصلح منها كما المشاهد سوى لقطات تبدو في قسوتها مثل السراب الذي لا يرغب بتصديقه.

هذا ما نراه مثلاً في مشهد الأم التي تتعرض للاغتصاب على مرأى من

ولديها، ونازاريت يراقبها بصمت من البعيد. أخيراً، يأتي القرار بقتل نازاريت وما تبقى من رفاقه ذبحاً بالسكين على يد سجناء آخرين بأمر من الجيش العثماني. إلا أن نازاريت - لحسن أو سوء حظه - لا يقوى قتاله على تنفيذ المهمة، فيتظاهر بنحر عنقه، ثم يعود لإنقاذه في ما

بعد. غير أن الجرح يتسبب بفقدان نازاريت صوته نهائياً. من هنا، تبدأ رحلة نازاريت الهائم في الصحراء حاملاً صرخته المكتومة، وهو يبحث عن عائلته بين جثث الضحايا أو النازحين الأرمن في المخيمات. هؤلاء دفنوا أحياء بين الرمال، حتى يموتوا ببطء من الجوع والعطش. لقطات

مقطعة وتفصيلية، يجسد المخرج عبرها المعاناة بطريقة غير مباشرة، تاركاً للمشاهد قسوة تخيل بقية الصور أو المجازر التي حدثت. حتى الكاميرا تتفادى الاقتراب من وجوه الضحايا كما الإضاءة. العنمة أيضاً تحول دون اكتمال الصورة، كما في المشهد الذي يعثر فيه نازاريت على إحدى قريباته مرمية في الصحراء تموت ببطء بين ذراعيه. نسمع صوتها في العنمة تناجيه كي يقتلها ويخلصها من عذابها وحشرجة صوت نازاريت المفقود والعجز المؤلم الذي يرمز إليه.

بالرغم من قسوتها المفرطة، إلا أن هذه المشاهد هي بجماليتها أعلى ما في الشريط. يكتشف نازاريت لاحقاً أن ابنتيه التوام لا تزالان على قيد الحياة. ينطلق بعدها في رحلة طويلة تمتد لسنوات عديدة في محاولة البحث عنهما، من تركيا إلى حلب في سوريا ثم لبنان وكوبا وصولاً إلى أميركا. الفيلم أشبه بملحمة طويلة يسردها المخرج بأسلوب يمزج «أفلام الطريق» (road movies) والويسترن، ويذكر خصوصاً بفيلم «أميركا، أميركا» (1963) لإيليا كازان الذي لا يخفي أكين تأثره به. لكن اللغة وكيفية استخدامها قد تكونان إحدى النقاط المثيرة للجدل في الفيلم.

لسبب غامض، اختار أكين أن يتكلم الأرمن في الفيلم بالإنكليزية، في حين أن العرب يتكلمون العربية أو الأتراك التركية، ربما لأنه أراد أن يضفي عليه طابعاً أكثر عالمية. وبحسب ما يقول في إحدى المقابلات مع صحيفة «نيويورك تايمز» أيضاً، فإنه لا يتقن الأرمنية. هذا مقبول من حيث أن السينما قادرة على فرض واقعها الخيالي إن ما كان متماسكاً، لكن خصوصية المنطقة والحقبة التي ينتمي إليها الفيلم، والالتباس الذي يحدث حين تصطبغ اللغة الإنكليزية (الأرمنية الافتراضية) مع اللغة الإنكليزية الحقيقية في المشاهد المصورة في أميركا... كل ذلك لا يساعد في إقناعنا بمصادقية هذا الخيار السينمائي.

من تركيا الحرب العالمية الأولى، نعود إلى ألمانيا ما بعد الحرب العالمية الثانية مع فيلم «مناهة الأكاذيب» (2014 - 22:00 - 23/9) للمخرج الإيطالي غيوليوري كياريللي. وكيل النيابة العامة الشاب جوهان يكشف كذب المؤسسات والأجهزة الحكومية وتستترها على جرائم النازيين الذين شاركوا في عمليات التعذيب والتصفية العرقية لليهود. ينطلق جوهان في بحثه من معلومة تصله من أحد الناجين من معسكر أوشفيتز، بتهم فيها أحد المعلمين حالياً في مدرسة في برلين بأنه كان أحد القادة النازيين في أوشفيتز. غير أن بقية زملاء جوهان يرفضون حتى التحقيق في القضية بحجة أنه لا يمكن محاكمة شخص بعينه، فالنظام النازي بكامله هو المسؤول الذي حول الجميع إلى نازيين ومجرمين. غير أن جوهان الذي ينتمي إلى جيل ما بعد الحرب مدفوعاً بشيء من البراءة والفضول، يسعى إلى معرفة حقيقة ما جرى في أوشفيتز، ليصدم بروايات الضحايا الفظاعات التي ارتكبها النازيون. تتضح له رؤية وذاكرة مختلفة عن تلك التي يتبناها المحيطون به وذاكرة النكران الجماعية. يدخل جوهان أيضاً في صراع مع ذاكرته الخاصة المتخيلة عن أبيه الذي يكتشف أنه كان نازياً بدوره، وكذلك الجزء الأكبر ممن لم يزلوا في مواقع السلطة. كيف تتحدد المسؤولية الفردية من شاركوا في عمليات التعذيب والإبادة في أوشفيتز؟ وهل تمكن محاكمة هؤلاء الأفراد حصرياً دون غيرهم؟ يدور الفيلم في فلك هذه الأسئلة، بالإضافة إلى الذاكرة والاعتراف بها هما الطريق الوحيدة لمحاكمتها ودفنها لو رمزياً.

«أسبوع الفيلم الألماني»: حتى 27 أيلول (سبتمبر). - «متروبوليس أمبير صوفيل» للاستعلام: 01/204080  
فيلم «مناهة الأكاذيب» 23/9 - 22:00  
فيلم «القطع» 27/9 - 20:00

LAU  
Lebanese American University  
LAU DEBATE CLUB  
يدعوكم "نادي المناظرة" إلى ندوة حوارية بعنوان  
**العلمانية تحت المجهر:**  
الدين يحاور  
الصحافي بيار أبي صعب  
سماعة الشيخ شفيق جرادي  
الأرض: الاثنين 21 أيلول، 2015 - الساعة 5:00 عصراً  
المكان: Irwin Auditorium  
الدعوة عامة  
الخبير العام